# مضامين الكتابة السردية في القصة الجزائرية

# (The contents of narrative writing in the Algerian story)

أولاد نهير أحمد [1]*

[1] –جامعة وهران(الجزائر)، OULEDNAHIRAHMED@GMAIL.COM

تاريخ الاستلام: 19-07-2023 تاريخ القبول: 19-05-2025 تاريخ النشر:01-06-2026

ملخص البحث

تناول هذا البحث المتواضع موضوعا يتعلق ببعض المضامين ,للأعمال السردية الجزائرية، ويركز على المضمون والسياسي والديني والاصلاحي والاجتماعي والعاطفي. ؛إذ يستظهر بعض السلوكيات التي طالما كان يفزع إليها المجتمع ،كما يكشف هذا البحث–أيضا–عن مدى مساهمة العمل السردي في خدمة المجتمع لبعض جوانبه.

وترمي هذه الدراسة إلى الكشف عن تقنيات بناء هذا العمل الروائي الذي يحمل أبعادا كبيرة لاسيما طابع الحيوية والعذوبة ,والانطلاق الذي يعارض التكلف والجمود الفكري ,وكل هذا يتمظهر في هذه المضامين التي تحملها هذه الأعمال السردية.وتسعى أيضا هذه الدراسة البحثية إلى الكشف عن دلالات ,وأبعاد فكرية وإيديولوجيا وسيسيولوجيا وثقافية وحضارية, وكان ذلك بتفريغ المفردة من حمولتها الدلالية السائدة, مستكشفين أن القصة الجزائرية قصة فريدة من نوعها.

ثم أخير ينتقل إلى الحديث عن الثورة المبكرة، في سلوك المرأة الجزائرية في نطاق الحب. ومن بين النتائج المتوصل إليها: إن الأدب الجزائر أدب متكامل، يجمع بين المضمون الهادف ،والشكل الجميل.

**كلمات مفتاحية:** مضمون ; سرد ;قصة ;قيم ;جزائرية.

[1] *أولاد نهير أحمد.

**Abstract:** This humble research, relates to a subject ,Which relates with content ,For narratirmve workers algérien It focuses on the political, religious, reformist, social and emotional content. It shows some behaviors that society accepts a lot.

This research also shows the contribution of narrative work to the Society service.Thistudy aims to reveal the techniques of building this novelistic work, which bears greatdimensions, especially the nature of vitality and sweetness, and the departure that opposes sophistication and intellectual stagnation, and all of this appears in these implications that these narrative works carry. This research study also seeks to reveal connotations, and intellectual, ideological, sociological, cultural and civilized dimensions, and that was by unloading the word from its dominant semantic load, discovering that the Algerian story is a unique story of its kind.

for some of its aspects Then finally, he goes on to talk about the first revolution in theAmong the results reached:: The Algerian literature is an integrated literature, which combines purposeful content and beautiful fo.

**Keywords**: Content ; narration ; story; Values ; Algerian

## 1.مقدمة:

لقد اخترنا في هذا الموضوع مجموعة من القصص الجزائرية، مع تسليط الضوء عليها ،وتوضيح ما فيها من قيم .

ومن بين الأهداف المستهدفة من خلال هذه الدراسة، إبراز بعض القيم التي تميز السردية الجزائرية.

واستخلصنا في الأخير مجموعة من النتائج من بينها : إن الأدب الجزائر أدب متكامل، يجمع بين المضمون الهادف ،والشكل الجميل ،ومما لاشك فيه أن القصة الجزائرية من حيث نضجها وثرائها وخصوبتها وحضورها في مجال الدراسات النقدية الحديثة احتلت مكانة مرموقة وقد يكون ذلك عائدا إلى ما تضمنته من قيم عظيمة.فماهي مضامين القصة الجزائرية؟

ومن أسباب اختيارنا لهذا الموضوع، يكمن في تلك القدرة العالية التي كان يتمتع بها كتاب القصة الجزائرية، والمتمثل في الجمع بين البساطة من جهة والجودة الفنية من جهة أخرى.ومن الدراسات السابقة في هذا الموضوع: فنون النثر الأدبي في الجزائر، لعبد الملك مرتاض.

أما من حيث المنهج المتبع في هذه الدراسة ،يتمثل في المنهج النقدي التاريخي.

**2.العنوان الرئيسي الأول : مضامين الكتابة السردية في القصة الجزائرية**

وقبل الحديث عن المضامين الكتابة السردية المعاصر لابد أن نشير إلى أن الشعب الجزائر كسائر شعوب العالم ككل ،يهوى الحكايات ويستمتع بسماعها ويتلذذ بالتواصل في سردها ،لاسيما الحكايات التي تسرد ها لنا الجدات قبل النوم.

إن الحديث عن السرد الجزائري , يقودنا بدون شك إلى الحديث عن نشأة القصة الجزائرية ,وكما يقول عبد الملك مرتاض :( نجد الكتاب الجزائريين انطلاقا من عقابيل الحرب العالمية الأولى, وتحديدا في شهر يوليو من سنة 1925 يعلنون ميلاد القصة الجزائرية المعاصرة).(1).

وأدبنا الجزائري لم يكن بدعاً أو أدبا ليس له أصول في ترثنا العربي لاسيما السردي منه، ولا أدل على ذلك حكايات الف ليلة وليلة والمقامات ،والكتابة السردية الجزائرية المعاصرة مما شك فيه ,أنها واكبت الحياة العامة في الجزائر من مختلف المجالات السياسية والثقافية والاجتماعية ،فمن المؤكد جداً أن مضامين القصة الجزائرية ,لا تخرج بعيداً عن هذه المجالات.

ولقد تضمنت القصة المسرودة مضامين عديدة , تعبر عن الواقع المر الذي خلفه المستدمر الفرنسي ،وعلى العموم القصة الجزائرية صورة حقيقية عن الصراع الفكري الحاد القائم بين الإصلاحين والطرقين من جهة ,والإصلاحين والفرنسيين من جهة أخرى.

إن الحديث عن السرد الجزائري ,أمر يدفع بالباحث إلى التدقيق والتمعن والتفحص والتركيز في المضمون الذي تحمله هذه القصة, أو تلك لأن الكاتب أو السارد قد لا يعتمد المباشرة, بل يعمد إلى عكس ذلك,ولذا نألف القاص قد يلجأ الى نشر مسروده باسم مستعار هذا على سبيل المثال لا الحصر.

فلابأس أن نعرج على بعض المضامين للقصة الجزائرية المعاصرة.

**1.2 العنوان الفرعي الأول: المضمون السياسي:**

فنستهل بقصة لمحمد السعيد الزاهري بعنوان:(( فرنسوا والرشيد) لقد كان أول من كتب محاولة قصصية في تاريخ الأدب الجزائري في حدود ما بلغناه نحن, الأقل من الإحاطة بعنوان: ((فرنسوا والرشيد)(2) .

فهذه القصة تعلن عن المساواة بين الجزائريين, والفرنسيين فهي أطروحة استعمارية كانت تزعم للناس في الجزائر أنهم سواسية ،أي لا فرق بين الجزائريين والفرنسيين.

ولقد نجح الاستعمار الفرنسي ،في تحقيق الكثير من المآرب ،ولو لبرهة من الزمن وذلك من خلال انخداع معظم الجزائريين بهذه الأطروحة التي تنادي بمبدأ المساواة, وانكشفت حقيقة هذه الشعار واضحة جلية للرشيد عندما رأى عكس ذلك تماما , بمجرد أن أدخل الشابان الخدمة الجندية الفرنسية الإجبارية حيث وجد صديقه فرنسوا يستفيد وفي كل مناسبة من الترقية في الرتب العسكرية،ويستفيد بحقوق ومكافآت كثيرة،بينما الرشيد ظل يتراوح مكانه ولم يفد من تلك المكافآت التي تهطل على فرنسوا إلا بمكافأة كبش عيد الأضحى ،وهذا رغم المستوى المعرفي العالي الذي يتميز به الرشيد والذي لا يقل عن مستوى صديقه الفرنسي فرنسوا ,إن لم نقل إنه يفوقه.

وعليه انكشفت الحقيقة التي كان يخفيها المستعمر الفرنسي, وطالما كان الرشيد مقتنعا كل الاقتناع بصدق نوايا الفرنسيين الذين كان يردد عليهم معلموهم وأساتذتهم شعار المساواة ،وتحت هاته الظروف المؤثرة قرر الرشيد الخروج وإعلان الثورة على المستعمر الفرنسي الظالم, صاحب اليد الباطشة التي لا تلين والمعطلة لمعظم ما ينشره الكتاب الجزائريون ,غير أنه رأى الشعب الجزائري غير مهيأ لذلك، فمات حزنا وكمدا جرأ ما عاشه.

وتدل هذه المحاولة في السرد الأولى : {}التي ظهرت في الجزائر على مدى الوعي السياسي والوطني، لدى الكتاب الجزائريين في تلك الفترة الزمنية المبكرة كما يدل نشرها في مطلع الربع الثاني من القرن العشرين على مدى الشجاعة التي كانت تشبه المغامرة, لدى بعض هؤلاء الكتاب ,فقد

جر نشرها على الكاتب محنة أودت بحياة جريدته التي نشرتها ,وهي في عمر الزهور إذ تربصت لها السلطات الاستعمارية حتى عطلتها , ولما يمض على حياتها شهر واحد}.(3).

## 2.2 العنوان الفرعي الثاني: المضمون الديني

وعالج الزاهري موضوعا أخر لا يقل أهمة عن الموضوع السابق والمتعلق بالجانب الديني في:- 'الكتاب الممزق-' وتدور أحداث هذه العمل المسرود حول مستشرقة فرنسية كانت تقيم بمدينة الجزائر، وأنها كتبت كتابا تسقط فيه قيمة الحجاب وتعتبره حسب وجهة نظرها تقييد لحرية المرأة ،و إذللا لها ، إلا أنها قبل أن تقوم بنشر هذا الكتاب , كتب لها القدر أن تلتقي بسيدة جزائرية أمية مسلمة محجبة ، مع صديقات لها فوقع بينهن وبين المستشرقة الفرنسية المثقفة جدال طويل ،متعلق بفكرة الحجاب المستنكر من قبل المستشرقة الفرنسية ، من جهة ومناصرته من قبل السيدة الجزائرية وصديقاتها, من جهة أخرى، وقد سعت الجزائريات الى تقديم مجموعة من الحجج والمزايا للحجاب, وهذا هو الأمر الذي أبهر المستشرقة الفرنسية وأفحمها حقا .

وخلاصة ذلك ،أن الحجاب لم يكن بالنسبة للسيدات الجزائريات المدافعات، إلا زينة للأنوثة وسترا للجمال .

وبناء على هذا الجدال المفضي إلى نتيجة إيجابية يحبها كل مسلم ومسلمة والمتمثلة في اقتناع المستشرقة الفرنسية, والمعترفة بأن السيدات الجزائريات على حق ، وكانت هي على باطل ،وقررت تمزيق كتابها والتي كانت تنوي نشره في ذم الحجاب, وفي المقابل قررت الشروع في تأليف كتاب اخر تبين فيه مزايا الحجاب.

وتقول المستشرقة الفرنسية في هذا الصدد:((كان الحجاب في نظري عادة جامدة قاسية يجب أن تتمرد عليها كل مسلمة ,تريد أن تخرج إلى هذه الحياة ،فصرت أنظر إليه كأقدس الشعائر التي يجب أن يحتفظ بها احتفاظا شديدا. وهكذا أصبحت أنظر إلى كل شيء إسلامي بغير العين التي

كنت أنظر بها من قبل ،وإني مكبة اليوم على تأليف كتاب في نصرة الحجاب...ولا أكتمكم أني أصبحت أميل إلى الإسلام ميلا شديدا)).( 4).

والجميل في عمل الجزائريات المسلمات أنهن أقنعن المستشرقة الفرنسية بالسلوك المتعلق في ارتداء الحجاب, والتمسك به، من جهة والسعي إلى اقناعها بالحجة القوية ،والدليل الساطع من جهة أخرى، فالإسلام ليس أقوالا فقط نقولها ونرددها وإنما هو أقوال متحولة إلى سلوك. ويقول عبد الملك مرتاض :إن مسألة الحجاب بمقدار ما كانت مطروحة في المجتمع الجزائري المسلم منذ خمسة وسبعين عاما، فإنها لا تبرح في موقعها لا تريم... ولكن الطريف أن الكاتب يجعل في حوار طويل، السيدةَ الفرنسية تقتنع بجمال الحجاب ،وإضفائه مسحة خاصة من الأنوثة على المرأة

والبهاء على هيئتها، بالإضافة إلى وظيفته الشرعية ... ولذلك أسرت المستشرقة في نفسها أنها ستفعل مثل ما يفعلن لعلها أن تصبح جميلة أمثالهن...( 5).

## 2.3العنوان الفرعي الثالث: المضمون الاصلاحي

والزاهري وقف من خلال أعماله المتمثلة في السرد عند بعض الموضوعات الإصلاحية التي، يهدف من ورائها محاربة أفعال بعض الشيوخ مع مريديهم ،وجسد ذلك في عمل متمثل في قصة{ إني أرى في المنام} ، وفي هذه المحاولة القصصية يشير إلى الصراع الفكري الحاد الذي كان يدب بين الإصلاحيين والطرقيين، وقد نشر الكاتب عمله هذا في منبر أدبي في مستوى{ الرسالة} الزياتية يومئذ برهان على رضا صاحب المجلة على المقالة بجانبيها الفني والمضموني.

وقد قدم الكاتب وصفا دقيقا ،لهته الشخصية المحورية في هذه القصة المشوقة، والتي في الحقيقة تمثل شيخا محتالا لئيما ،يتصيد أموال الناس السذج بالشعوذة والكذب ، فيقول الكاتب في وصفها(تراه فترى وجها كالحا مسنونا ولحية قذرة صفراء، كأن دخان كثيفا لايزال يتعدها ويغشاها من حين إلى حين). ( 6).

وهذا الشيخ المحتال له أشياعه ولقد بلغ الأمر بمريدي هذا الشيخ أن وقفوا ذات يوم على فاكهي، وقالوا له :إن شيخنا يقرؤك السلام ، ويقول لك يابني: إني أرى في المنام كأنك تتخبط في ضخضاخ من النار وأنت تستغيث ولا تغاث؛ حتى استغثت بي، وذكرتني باسمي ، فأخذت بيدك وانقذتك من الهلاك...). ( 7).

وبهذه الطريقة المشينة المنحرفة، أوقع الشيخ مع مردييه الفاكهي في أحبولته وأصبح من تبعه وأشياعه الأثرياء الأسخياء.

و بالطبع قد استغل الاستعمار هذا الانحراف، استغلالاً كبيراً فسخره لخدمة سياسته في قهر الأهالي. وجعل بعض عناصر هذه الفئة عيوناً له على بعض المناضلين والوطنيين.

ويلا حظ أن الزاهري من خلال هذا النص ,يسعى جاهدا إلى دغدغت الوضع من أجل اصلاحه هذا من جهة ،وأن يصور بعض مظاهر الشعوذة والتدجيل في المجتمع الجزائري ومدى تأثر الناس بها من جهة ثانية.

## 2.4 العنوان الفرعي الرابع:

وقد نشرت أعمال أخرى من قبل قصاصين اخرين, لا تقل أهمية عن أعمال الزاهري ، إلا النظر الفكرية اختلفت حيث بدأت الكتابة تتمحور حول موضوعات كان النظر فيه أمرا شبه محرم ،وهذا الأمر متعلق بالموضوعات العاطفية إذ لم يعتن أدباء الحركة الإصلاحية بهذه الموضوعات ،لأن الحياة العامة كانت تنفر منها ، بل كانت تنظر إليها على أنها عوامل هدم لبنية الشخصية الوطنية الجزائرية ، إلا أن هذه الرؤية سرعان ما بدأت تضمحل بفعل العوامل والظروف الجديدة التي شهدتها الحياة العامة في الجزائر، إذ شرع بعض الكتاب في تناول قضية المرأة واضعين في حسابهم النظرة الأخلاقية المنبثقة أصلاً من روح الإسلام، وقد لجأ بعض الأدباء إلى الرمز والإيحاء ،أو التوقيع بأسماء مستعارة، حينما أرادوا التعبير عن الأحاسيس العاطفية ،ومن بين الذين كسروا هذا المحرم

الاجتماعي ،و الحديث عن الحب والعلاقة الغرامية بين الرجل والمرأة ،الكاتب الكبير محمد العابد الجلالي, وحبذا أن نتوقف معه في قصة {الصائد في فخ} .

فانطلاقا من عتبة هذا النص, أو العنوان نستكشف أن الفاعل أصبح مفعولا به وأن البطل الذي يسعى أن يجعل الفتاة التي يحبها في أحبولته صار هو المحبول.

ومهما يكون من أمر فإن أحداث هذه القصة ، تدور حول وقوع شاب في فخ حب راعية جميلة ،وهي في حقيقة الأمر لا تعلم ذلك وهذا الفتى المحب ،يهوى الصيد فهو دائما يخرج الى الغابة ويصطاد ما يصطاد من صيد، ثم يعود، ولكن عودته في هذا اليوم تختلف عن سابقاتها اختلافا كبيرا ،كيف لا وهو يوم يبدأ به أحس وأجمل أيام حياته المتبقية ،وذلك على فراش الطهارة

إذ حين عودته التقى بالفتاة المدعوة فاطمة على غير ميعاد، فوقع بينها حديث ألذ من طعم الشهد وأعطر من عبق الورد كما قال عبد الملك مرتاض في إحدى محاضراته ، وازداد حب الفتى بالفتاة حين علم أن أباها قد نبت الربيع على قبره تحت التعذيب في السجن لاتهامه بمالأة الثائر ابن زلماط ،وبعد هذه الجلسة الجميلة التي اجتمعا فيها محمود وفاطمة ،افترقا على ضرب موعد اللقاء غدا صبحا. ( 8).

ولكن اللقاء الذي اتفقا عليه لم يكن وهذا بسبب غياب محمود المريض المتأثر بحرارة الحب منذ اللقاء الأول ،ولازم الفراش، وهذا الغياب كان غير منتظر من فاطمة الوافية ،إذ خرجت بقطيعها على أمل الالتقاء به، وقد التقت فاطمة بأخت لمحمود فأخبرتها الخبر ، وقتها قررت الراعية الرائعة الجميلة أن تعود محمود وبالطبع تحت تأثير حبها الشديد أياه.

ونلاحظ من خلال هذا التصرف ،أو السلوك الذي قامت به الراعية نقلة نوعية وسابقة فريدة من نوعها ،إذ ضربت مختلف التقاليد والعادات التي تقييد المرأة تقييدا عرض الحائط،

حاملة نفسها متسارعة الى منزل محمود الصياد على غير طريقة الفتيات المحتشمات في المجتمع الجزائري ،وهذا الأمر لا يحط من قيمة فاطمة الطاهرة لأن الحب الشريف قد يفعل فعلته هذه.

وتبعا لأحداث هذه القصة ، نجد أن الصياد محمود استرجع عافيته ونشاطه بمجرد أن رأى الفتاة تدخل بيته كالملاك الكريم ,فتقرر أم محمود بعد سعادتها بهذه الراعية خطوبتها ،ليتم على بركة الله الزواج من بعد ذلك دون عوائق أو خطوب تذكر.

فالقراءة التحليلية لأحداث هذا العمل ،نستنتج مجموع من الملاحظات أهمها:

_ إن الكاتب أحدث في عمله المسرود ما كان غير مألوف، وهو الحديث عن العلاقات العاطفية بين الرجل والمرأة .ويقول عبد الملك مرتاض في إحدى محاضراته ضمن هذا المضمار: (...

فجاء الجلالي ليكسر محرما اجتماعيا وهو الحديث عن الحب ،والعلاقة الغرامية بين الرجل والمرأة بل يجعل هذه الفتاة لا تقيم أي وزن للتقاليد الجزائرية المحافظة... وهي ثورة مبكر في سلوك المرأة الجزائرية ، ولو على الورق حقا...) .( 9 ).

_ إن الكاتب يوظف شخصيات بسيطة ,ويتغلغل من خلالها في أعماق المجتمع الجزائر, مستكشفا العلاقات بين أفراده، دون التركيز على التوظيف السياسي أو الاصلاحي .واستحضار ثورة بن زلماط في خضم أحداث هذه القصة هو التنبيه إلى ثورة لا نعرف عنها إلا القليل.

_ إن المجتمع الجزائري شديد المحافظة على العادات و التقاليد ،وكثيرا ما تكون في مهب الريح تحت وطأة الحب الشديد.

_ المرأة الجزائرية تدرك مدى خطورة الحب، فتسارع إلى إقامة جسر عقد قران بين المتحابين ،وغلق الباب في وجه مالا يحمد عقباه.

_ إن القاص من خلال عرض أحداث هذه القصة، يدفع بالقارئ إلى استحضار قصة قيس وليلى.

_ الكاتب في هده القصة قد نجح في عملية المزج بين أمرين: الأول متعلق بالوطن تضحية أبي الفتاة فداء للوطن, والثاني مرتبط بعاطفة الحب التي جمعت الفتاة والفتى على فراش الطهارة.

ولم يكن الجلالي العابد الوحيد الذي جعل من المحرم الاجتماعي أمرا مقبولا؛ إذ نجد كتابات أحمد رضا حوحو فيها جرأة وتجاوزا كبيرا, للعادات ، والتقاليد في المرحلة الزمنية التي نشر قصصه فيها وكان يبحث في معظم قصصه العاطفية عن حب رومانسي، مكلّل بالصدق، وهو في هذا متأثر بالأدب القصصي الرومانسي الغربي وبسير الشعراء العذريين في الأدب العربي .

ومن بين أعماله التي تكشف لنا عن هذه الخطوة، غير مستساغة عند الكثير من الكتاب الجزائريين{غادة أم القرى}. وهي في حقيقة الأمر لم تنطلق من حيث الواقع من أرض الجزائر, وإنما من المملكة العربية السعودية، إلا إن هناك تقاطعا بين ما تعيشه المرأة في الجزائر والمملكة العربية السعودية، وربما هذا هو السبب الذي دفع رضا حوحو الى أن يهدي هذا العمل المرأة الجزائرية زاعما أنها محرومة من عدة نعم فقال: (إلى تلك التي تعيش محرومة من نعمة الحب ،من نعمة العلم ،من نعمة الحرية. الى تلك المخلوقة البائسة المهملة في هذه الوجود: إلى المرأة الجزائرية أُقدم هذه القصة تعزية وسلوى). (10).

وهذه القصة مضمونها ، لا يختلف عن مضمون قصة الصائد في فخ فهي تصور أمراً عظيما ينتهي بعشقين في مكة المكرمة ،وذلك بأن يقضيا نحبهما صبابة، وعشقا ،وهذا الأمر متعلق بالفتى

اسمه جميل والفتاة اسمها زكية وتعتبر الفتاة في هذه القصة البطل، وقد توفيت وذلك بسبب حبها الكبير لجميل ابن خالتها.

والشيء المثير في هذ العمل الجميل أن البطل ،والمتمثل في الفتاة زكية ماتت من شدة حبها لهذا الفتى دون أن يعرف أحد عن حقيقة هذا السلوك شيئا.

والحق موضوع هذه القصة ,أن رجلا متوسط الحال زرق بمكة بابنتين اسم الكبر أسما واسم الصغرى زكية ,وأن البنتين لم تتعلما، وهذا بسبب الحرص الشديد من قبل الأسرة على العفة، وكان كل من الابن جميل وأمه المتوفي زوجها، والرجل المتوسط الحال مع أبنائه كانوا جميعهم يعيشون في بيت الشيخ سليمان بمكة ,وبعد أن كبر الفتى وبلغ مبلغ الرجال بلغ في البيت مبلغ الحياء وأصبحت الفتيتان ابنتا خالته تتسترات منه فقرر هو وأمه أن يتفردا بمسكن بسيط بمكة, مع العلم أنه يعمل في إحدى الإدارات العمومية.

فالبنت زكية أن كان طيف جميل ,هو الملازم الأول والأخير لها بناء على الحب الذي تكنه أياه، لم تشك يوما ،بأن تكون خطيبته ،دون اختها الكبرى أسماء التي لم يكن جميل من مخططاتها في مجال الحب.

وتقصيا لهذه القصة ،جاء يوما جميل زائرا دار خالته ،ولكن لم يجد إلا زكية وللأسف الشديد من جهتها لم تحظ بهذه الزيارة التي من الممكن أن تومض من حدة المحبة ، فاكتفت بالتصفيق إشارة منها بأنه لا يوجد أحد في البيت إلاهي ؛فما كان من جميل إلا أن يعود أدراجه .وفي ذلك اليوم الذي لم تتم فيه زيارة الرحم من جهة الابن ،ولا زيارة المحبة من جهة البنت .

عادت الأم، والاخت الكبرى والأب من متجره, تقدم أحد أثرياء أم القرى الشيخ أسعد ليختطب ابنة الشيخ سليمان لابنه المسمى رؤوف، فوقع الرفض دون الوصول بالحديث ،أي البنتين كان يريد؟ وهذا الرفض كان مبنيا على أن البنت مخطوبة لجميل منذ اليوم.

وبالطبع زكية كسائر البنات غير المخطوبات المنتظرات الزواج، تتسمع حديث الرجال المقبلين على البيت ،فدق قلبها فرحا حين سمعت ما سعت، وأن ما كانت تتمناه قد حصل، ظانه أن جميلا أختطبها فعلا، وأن أباه لا يقصد إلاهي فعلا.

وأكيد أن الشيخ أسعد تحت وطأة الرفض التي قوبل بها من قبل الشيخ سليمان دبر مكيدة لجميل بأن أتهمه بالسكر ، وعلى ذلك سيق إلى السجن وحكم عليه بالسجن ,مدة ستة أشهر بالإضافة إلى ذلك معاقبته بثمانين جلدة أمام الملأ كل شهر وذلك أن شهد عليه شاهدان زورا.

وهذه المكيدة الفظيعة في حق جميل لم تمر عليه بردا وسلاما ,إذ لم يتحمل هذه التهمة جملة, ورأى أن تعرضه للجلد يوم الجمعة في الشارع أمام الناس إهانة أعظم لا تطاق أبد ؛فالتمس من الله تعالى أن يتوفاه قبل أن يحدث له ذلك فاستجاب له.

والعجيب في الأمر كله أن زكية المحبة مرضت مرضا شديدا, جراء الصدمة المتمثلة في سجن حبيبها دون أن أيعلم أحد بحبها أياه، وحتى جميل نفسه لم يعلم بذلك ,وإثر هذه الصدمة الأليمة توفيت في مأساة عظيمة ،والشيء المفاجئ في هذه الأحداث بأن كان يوم وفاة زكية , هو ذلك اليوم الذي توفي فيه جميل في السجن.

وهذه الفاجعة لم تمر كسحابة الغيث على قلب أم جميل, بل اغتنمت فرصة وصول الملك ابن سعود الى مكة ليحج , فتوجهت إليه مباشرة بعد أدائه لصلاة العصر، وأسرت له كلاما أمام الحاشية والمحيطين به يتعجبون من أمرها.

وبعد عودة الملك ابن سعود إلى الرياض ،طلب حضور الشيخ أسعد وابنه رؤوف ،وشاهدا الزور , فأقروا بجريمتهم فنالوا العقاب , إلا جميل الذي لم يأخذ له بحقه ,أخبر عنه الملك أنه مات فتأثر لذلك تأثرا شديدا.

وبعد هذه الحادثة الأليمة المتعلقة بموت جميل تحول بيته الذي كان يسكنه وأمه إلى مأتم رهيب , فهو كله بكاء وعويل.

إن هذا العمل بالنظرة التحليلية يكشف عن عدة أغور، يصعب الوصول إليه وهذا ناتج عن عدة أسباب، جعلت هذا العمل شبه معقدة على رغم بساطته من جهة, وأخاذ من جهة أخرى.

فالكاتب يصور و ضعا اجتماعيا تجري مسرح أحداثه خار وطنه الأم الجزائر، أي كانت تجري هذه الأحداث في الحجاز ,كما كان يسعى جاهدا أن يماثل الوضعين

فكان كما قال عبد الملك مرتاض في إحدى مقالاته: كان يستلهم فيما يبدو كثيرا مما كان يسود من عادات ،وتقاليد اجتماعية في الجزائر أيضا, فما أشبه الحال بالحال في تلك الأثناء. ( 11).

كما أن القراءة الفاحصة لهذا العمل الرائع، تبرز من خلال الوجه النقدية أن جميل صاحب المنصب المتواضع ،هو إنسان متواضع محبوب ليس فقط من زكية ،وإنما من جميع أفراد العائلة، وحتى ممن يعرفونه خار البيت ويبدو ذلك من تحول بيته إلى مأتم وعويل وبكاء ،تاركا تأثيرا شديد في النفوس.

حق المظلوم لم يضع بالرغم من مكانة الظالم, والأمر متعلق بالفتى البسيط جميل والشيخ أسعد الثري المتعفن الأخلاق. يدل ذلك على سير العدالة.

استغلال ضعاف الإيمان بالمال أمر يدفع بالأثرياء إلى تحقيق أهدافهم، دون عرقة من أحد فعند هؤلاء هدفهم تبرره كل وسيلة.

فالحرص الشديد من قبل الأسر على عفة البنات في هذه المنطقة ،طوق باب الحديث عن الحب ،واضعا المتحابين على المحك دون اشعار بحبهم.

أن الحب الشديد الذي يكنه المحب لحبيبه قد يجعل المحب ناسيا ما يجيب أن يكون عليه الواقع ،وفي هذه القصة ،نعثر أن الفتاة زكية بسبب حبها اللامتناه لجميل جعلها ناسية أو متناسية أن أختها الكبرى ،هي التي قد تقع عليها الخطبة أولاً حسب ما تقتضيه التقاليد ومنطق الأشياء.

الموقف الذي أبداه الشيخ سليمان ,وعدم الدخول في تفاصيل الخطبة المتعلقة بإحدى ابنتيه يصور لنا مدى تمسك الشيخ بأخلاقه الفضيلة من جهة، وعدم طمعه في المال على الرغم أن المتقدم للخطوبة هو أحد اثرياء أم القرى.

وإن كانت المرأة حقا في المملكة السعودية محرومة من نعم عدة فرضتها عدة عوامل من بينها العفة غير أن عفة المرأة الجزائرية ,لم تكن السبب في حرمانها من نعمة التعليم ،بل الحاجة. كان هذا الوضع من قبل ، أما الأن فلا فإننا نجدها في مختلف المجالات وقد تكون لها الصدارة.

وهذا العمل الذي آب رضا حوحو ,إلا أن يجزئره تعبير عن القومية من جهة وتوطيدا للعلاقة الأخوية بين البلدين.

ومهما يكن من أمر فان الكاتب قد وعبر من خلال هذه القصة ،وبأسلوب أخاذ وجميل عن حب مجهول، كانت نهايته الموت، كما أنه أفلح بأن جمع بين الجانب الرومانسي والمأساوي في هذا العمل المسرود.

وتعبير حوحو عن الحب الرومانسي المكلل بالصدق، يكشف عن مدى تأثره الكبير بالآداب الأجنبية الغربية ،وبسير شعراء العذريين .

ومواصلة لهذه المضامين ،وبناء على منوال المواضيع العاطفية نتوقف عند قاص اخر لا يقل أهمية عن رضا حوحو ،ويتعلق الأمر بالكاتب القاص أحمد بن عاشور.

فالقاص كتب عدة قصص، تقوم على تصوير بعض الأوضاع الاجتماعية وسيدودة بعض التقاليد البالية ، في المجتمع الجزائري.

ونود أن نتوقف عند قصة حب رومانسية , في ظل الفوارق الحضارية في المجتمع الواحد.

ومحور أحداث هذه القصة، يكمن في حب يوسف التاجر البسيط الذي ينحدر من مدينة البليدة ،ومن أعماق البادية. لحسن الحظ أو لسوئه ، تفتنه فتاة فاتنة متثنية في مشيتها, وما كان من التاجر البسيط ألا أن يسأل عنها.

إجابة عن سؤاله ،تبدأ رحلة الحب تشق طريقها في مسلك وعير، يحتاج منه التضحية العالية لعله ينجح.

فكانت المشكلة الأولى ,أن الفتاة ابنة ضابط صف جزائري متقاعد في الجيش الفرنسي, والمشكلة الثانية تتعلق باللغة ،والفتاة الفاتنة لا تتحدث إلا اللغة الفرنسية ولم يكن الفتى يعرف كلمة واحدة من هذه اللغة.

والأطرف المستطرف أن الفتى العاشق رغم المعضلات التي تقف في طريقه لم يتوقف , في متابعة الفتاة وترصدها, وهو مرتد عمامة وبرنسا وما كان من شأن الفتاة إلا تجاهله، وهذا الأمر لم يزيد الفتى العاشق إلا الجنون بها.

واتخذ الفتى طريقا إلى السحرة والمشعوذين يستنجد بهم ،فوصف له أحدهم سلوكا معينا ، وكتب له طلسما غريبا زاعما له بفضله ستحبه هذه الفتاة حبا شديدا، ولاسيما << إن خاطبها والطلسم تحت لسانه>>.(12 ).

فيوسف يواصل في ترصد الفتاة تحت تعليمات تلقها من أحد المشعوذين ولكن لم تجن نفعا ،وحينها أدرك أن الساحر ضحك عليه, فاستشار بعض العقلاء في الأمر فطلبوه بأن يرتدي بزة رياضية ،ملقيا بالعمامة والبرنس في غياهب الجحيم ،ويحاول أن يترصدها من أجل التقرب منها، وذلك حين تذهب إلى جبل الشريعة للتزحلق.

فالتاجر يوسف، لم يتريث في تطبيق ما تلقاه، فيتشجع ويستخر الله ويتقرب منها إلى إن اقترب منها ، في زحمة المتزحلقين ، ويقول في هذا الصدد عبد الملك في مقال من مقالاته:( ...ويقترب منها إذن ، ويرنو إليها بحنان غامر، وترنو إليه، ثم تثب متزحلقة نحو الأسفل ...ولكنها لا تكاد تنطلق حتى تفقد توازنها فتقع... فيسارع يوسف إلى إسعافها، فتشكر، باللغة الفرنسية...فيجبها يوسف باللغة العربية ' فتقول :له في شيء من الدهشة .(13).

{أأنت عربي }؟(14).

وتزداد دهشتها من الهيئة التي آل إليها، بعد ما كان مبرنسا ومعمما ، فقال لها يوسف:{ ضحيت بكل ذلك من أجلك}.( 15).

والجميل أن يوسف جعل الفتاة الفاتنة تتعلق به، فتبادله حبا بحب ، بل تذهب معه إلى دار السينما.

ومن خلال القراءات لهذا العمل ،يستبين أن الكاتب أفضى بهذا العمل إلى عدة ملاحظات:

–أن القاص من خلال هذه القصة صور وضعا متعلقا بالحياة العاطفية التي كان يعشها التاجر يوسف.

– ابراز التفاوت والفوارق الحضارية في المجتمع الواحد.

– سيطرة بعض السلوكيات الاجتماعية المتعلقة بالسحر، والفزع إليها في أحوال الناس.

– التضحية بالتقاليد الوطنية ،والاجتماعية في سبيل نيل لذة أو غاية معينة، وقد يكون هذا تحت وطأة تأثير عاطفة الحب الشديد.

**خاتمة:**

وختاما لرحلة هذا البحث ، نستخلص أن الأعمال المتعلقة بالسرد ،والتي قدمها الكتاب الجزائريون ، تنوعت وتعددت مضامينها، فمن الجانب الاجتماعي إلى الجانب العاطفي الرومانسي مرورا بالجانب السياسي والاصلاحي، وأن هؤلاء الكتاب الجزائريين، قد عرضوا أعمالهم في حلة جميلة مواكبة الحياة العامة في الجزائر ، فعبروا عنها خير تعبير، وصورها أدق تصوير؛ وذلك أن بعض القصاصين لم يهتموا بالفكرة على حساب الجانب الفني في أعمالهم المسرودة، فنجد الكاتب أو القاص يبسط عمله في أسلوب رائع جميل أخاذ.

كما أن هناك من الكتاب الذين كان لهم الفضل في نقل القصة من مضمونها السياسي الاصلاحي إلى المضمون الاجتماعي العاطفي، إذ الأمر لم يكن بالهين في مجتمع شديد المحافظة، وهذه جرأة لا تقل خطورة عن الشجاعة في فضح حقيقة الأطروحة الاستعمارية الزاعمة لمبدإ المساواة بين الفرنسية والجزائريين. ومن بين الاقتراحات التي يمكن أن نقدمها: تمثيل هذه القصص وعرضها على شاشة التلفاز.

## 6.قائمة المراجع:

1. عبد الملك مرتاض، محاضرة" مسارات الكتابة السردية في الجزائرـ على عهد الاستعمار الفرنسي ـ "،جامعة وهران،د، ت.
2. محمد السعيد الزاهري ،1925م "فرنسوا والرشيد"(جريدة الجزائر)، ع(2)،ص3.
3. عبد الملك مرتاض, سنة 1983 فنون النثر الأدبي في الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
4. محمد السعيد الزاهري ، سنة 1983..الإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير ، دار الكتب ،الجزائر.
5. عبد الملك مرتاض، محاضرة" مسارات الكتابة السردية في الجزائرـ على عهد الاستعمار الفرنسي ـ "،جامعة وهران،د، ت.
6. محمد السعيد الزاهري , 1936 صورة من المجتمع الجزائري , مجلة الرسالة, ع145،ص583.
7. المصدر السابق.
8. عبد الملك مرتاض محاضرة" مسارات الكتابة السردية في الجزائرـ على عهد الاستعمار الفرنسي ـ "،جامعة وهران،د، ت.
9. المصدر السابق.
10. رضا حوحو,سنة 2007 م، غادة أم القرى, إهداء، دار النشر،وزارة الثقافة ،الجزائر.
11. عبد الملك مرتاض محاضرة" مسارات الكتابة السردية في الجزائرـ على عهد الاستعمار الفرنسي ـ "،جامعة وهران،د، ت.
12. ، أحمد بن عاشور ،1952،تضحية , جريدة البصائر ،ع 216، (الصفحة الأخيرة في الجريدة),(أعمدة 1،2،3).

13. عبد الملك مرتاض ، محاضرة" مسارات الكتابة السردية في الجزائرـ على عهد الاستعمار الفرنسي ـ "،جامعة وهران، د، ت .

14. أحمد بن عاشور ،1952،تضحية , جريدة البصائر ،ع 216. (الصفحة الأخيرة في الجريدة),(أعمدة 1،2،3).

15. المصدر السابق .